انطلاق . . .

[إلى الذين أرادوا شراء قلمى
فباعوا ضمائرهم]

إنى اعتصرتُ مدامعى من مهجتى ... وسكبتُها لخواطرى قربانا
وأقمْتُ محرابى ... وكان خطيئةً ... عند الورى فأحملتُه إيمانا
لى مَذْهَبُ الغرّيد... أنشد فرحتى ... وشقاوتى وأبثها ألحانا
أنا طائرٌ مُتفرّدٌ بصبابةٍ ... فاضتْ على أنغامه تحنانا
يا هذه الدنيا عبدتُكِ مخلصاً ... وتخذْتُ بين رياضك الأفنانا
لى ذلك الأفق المذهَّبُ . . والضحى ... والفجرُ يخفق ... والدجى سهمانا
لى هذه الشمسُ الكبيرة أحرقتْ ... سحباً همَتْ فوق الثرى إحسانا
لى ذلك البحرُ العظيمُ وما طوَتْ ... أحلامُهُ فرحانَ أو غضبانا
هذى السما تجملتْ لى فارتدتْ ... عند الغروب وشاحها ألوانا
وتزينتْ لى فى الظلام فنسّقت ... بالأنجم النشوى لها تيجانا
الليل ... كم أوقفتهُ مترنحاً ... والنايُ قد صيّرتهُ سكرانا
والنور . . كم أذهلتُه فتقدمت ... منه بشائرُ تغمر الأكوانا
والزهر ... كم أرقصته فتفتّحت ... أكمامُه وتضوّعت بستانا
هذى أغاريدى ... فسَلْ عنها الهوى ... والحب والأفراح والأحزانا
إنى وهبْتُ لكلِّ مَعنىً غنوةً ... وأقمتُ تمثالا له فتّانا
غنّيتُ حتى للدمامة مرسلاً ... فى كلِّ ناحيةٍ دمى ألحانا
هذى أغاريدى ... فكيف بحبسها ... وأغصُّ لا أرضى لها إذعانا

هذى أغاريدى ... فكيف بحبسها ... وأرى السما قد أرهفت آذانا
هذى أغاريدى تفور بأضلعى ... وتشوق منفسحاً لها ظمآنا
لبيك يا قلمى مسطرَ شقوتى ... ومسرتى للخالدين بيانا
لبيك ياقلمى ... غمستُكَ فى دمى ... وبثثتُ منك مشاعرى ألوانا
أنا لا أغنى للجمادات التى ... ضاقتْ بها تلك القبورُ هوانا
تمشى فتحسبها نفوساً ... إنها ... كُتَلٌ تدبّ على الثرى أبدانا
هل غيَّضوا النهر المبارك سيره ؟ ... أم صيَّروا هذا السحاب دخانا ؟
هل أوقفوا ركبَ الحياة ؟ وأطفأوا ... شمسَ الأصيل ؟ وبدّلوا الانسانا ؟
هل صيروا الليل البهيمَ صحيفةً ... بيضاءَ ؟ أم هل أنبتوا الكثبانا ؟
هيهات ... لن يقووا على حبس الذى ... فى خاطرى متدفقاً ... هتّانا !
أنا طارحٌ عنى عباءةَ مجدهم ... ولقد بُليتُ بحملها أكفانا
خلعتْ لأشواق الحياةُ قناعها ... وأباحتِ السرَّ الخبيَّ عيانا
وتسرَّب الوجدانُ بى متغلغلاً ... خلفَ المدى متطلعاً حيرانا
ياروحَ هذا الكونِ ... إنى عابدٌ ... لكَ ناثرٌ صلواته قربانا
أستقبل الدنيا وفى شبّابتى ... نغمٌ يقدّس ما أرى ألحانا
وأحبُّ هذا السهل مُنبَسطاً ، كما ... أهوى الجبالَ وأعشقُ الوديانا
وأقاسمُ الليلَ الحزين شجونه ... وأساجلُ الفجرَ الجميلَ حنانا
وأطيرُ حتى أستحيل غمامةً ... وأرفُّ طيراً شادياً لهفانا
قد عشتُ هذا الكون بين جوانحى ... وتمثلتْه مشاعرى ألوانا
حريتى ملكى ولستُ مخلفاً ... إلا السجون وخلفها السجّانا !

عبد الرحمن الخميسى